الدرس الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين ،و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله و سلم عليه و على آله و أصحابه أجمعين ،أما بعد.

قال الشيخ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي –رحمه الله تعالى و غفر له و للشارح و السامعين- في كتابه أصول الإيمان أصول العقائد الدينية ، تحت مسألة إيمان الأصل الرابع ، قال: **ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها ويدفع عنها عادية المعتدين، ولا تتم إمامته إلا بطاعته في غير معصية الله تعالى.**

الشيخ :

قال المصنف –رحمه الله تعالى – : و يعتقدون : أي أهل السنة و الجماعة، يعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها و دنياها ؛لأن أمر الناس لا ينتظم إلا باجتماع ،و لا اجتماع إلا بإمام و لا إمام إلا بسمع و طاعة ،ولهذا جاءت الشريعة بالحث على لزوم الجماعة و بالاجتماع و أيضا جاءت الشريعة بالحث عل لزوم السمع و الطاعة لمن يلي أمر المسلمين ،وذلك لأن أمر المسلمين لا يستقيم إلا بالجماعة و لا تستقيم الجماعة إلا بإمام و تستقيم الإمامة إلا بسمع وطاعة ،ولهذا جاءت الشريعة بذلك ،وجاءت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحث على السمع و الطاعة (عليكم بالسمع و الطاعة) في غير ما حديث عنه صلى الله عليه وسلم (و إن تأمر عليكم عبد عليكم بالسمع و الطاعة) قال (إنما الطاعة بالمعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) فجاء عنه صلوات الله و سلامه عليه أحاديث كثيرة في الحث على ذلك ،وذلك لأن أمر المسلمين لا ينتظم إلا باجتماع و الاجتماع لا يتم إلا بإمامة إلا بوجود إمام ،و أمر الإمامة أيضا لا يفيد إلا إذا وجد سمع و طاعة من أفراد الناس ،فبهذا يصلح أمر جماعة المسلمين وتنتظم مصالحهم وتتحقق لهم المصالح الدينية و الدنيوية كما أشار إلى ذلك المصنف-رحمه الله – بقوله :يقيموا لها دينها ،يقيم لها دينها أي ببناء المساجد و تهيئة المرافق الدينية المحتاج إليها و ترتيب ذلك و تهيئته والعناية به ،و أمر دنياها أيضا بترتيب و تنظيم المصالح الدنيوية حتى لا يعم في الناس الفوضى و لا ينتشر فيهم الشر و الفساد و العدوان فأمور الدين و الدنيا لا تقوم إلا بالإمام ،الإمام هو الذي يقيم الحدود و يوقع تعزيرات ،الإمام هو الذي ينصّب القضاة و الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر و يرتب أمور المساجد و الإمامة و دور العلم إلى غير ذلك من مصالح الأمة التي لا تنتظم للأمة إلا بإمام –أعني المصالح الدينية – و كذلك مصالح الأمة الدنيوية كذلك لا تنتظم إلا بوجود إمام ولهذا جاءت الشريعة بذلك ،و

وجود الإمام من الأمور المتعينة و المتأكدة لأن أمر المسلمين الديني و الدنيوي لا يستقيم إلا بذلك ،قال : يقيم لها دينها و دنياها ،و يدفع عنها عادية المعتدين ،لأنهم بالإمام تجتمع كلمتهم و تقوى شوكتهم و يهابهم عدوهم بخلاف ما إذا كانوا فوضى شذر مذر متشرذمين متقطعين فإنهم يكونون فريسة للأعداء ،بينما إذا كانوا مجتمعين تحت إمام واحد تحت ولاية واحدة و كلمة واحدة و من..تحت إمام فإنه يكون لهم الشوكة و الهيبة و القدرة على صد عدوان المعتدين ،ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنما الإمام جُنة) لأن بوجود الإمام تتحقق هذه المصلحة و يتيسر هذا الأمر ،قال : ويدفع عنهم عادية المعتدين و لا تتم إمامته إلا بطاعته في غير معصية الله ، ولهذا قال عليه الصلاة و السلام : (من طاع أميري فقد أطاعني) وجاء عنه عليه الصلاة و السلام أحاديث كثيرة في السمع و الطاعة للأمير ،قال : (اسمع و أرع و إن أخذ مالك و ضرب ظهرك) أسمع وأطع و إن أخذ مالك و ضرب ظهرك ،وقال في حديث آخر: (إنما الطاعة بالمعروف لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ، أما إذا أمر الأمير بأشياء من مصلحة الناس و من الأمور التي تنتظم بها أحوال الناس فيلزم الرعية جميعا أن يطيعوا إلا إذا أمرهم بمعصية، إذا قال لا تصلوا لا يطيعوا هنا إذا قال اشربوا الخمر لا يطيعونه إذا قال افعلوا الفواحش لا يطيعونه إذا دعاهم إلى أي شيء من المحرمات لا يطيعونه لا طاعة له ،و الله جل و علا قال في القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُم } ،قال أهل العلم : لم يقل جل وعلا وأطيعوا أولي الأمر ؛لأنه ليس لهم طاعة مطلقة و إنما طاعتهم في حدود طاعة الله سبحانه و تعالى و طاعة رسوله عليه الصلاة و السلام بمعنى أنهم لو أمروا بمعصية أو أمروا بمنكر فإنهم لا يُطاعون إنما الطاعة في المعروف لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ،الشاهد أن هذا من الأمور التي يعتقدها أهل السنة و يدينون الله سبحانه و تعالى بها ،ولهذا أيها الأخوة يجب أن يفعل المسلم ذلك تدينا لا مصلحة ،وتقربا إلى الله سبحانه و تعالى و طلبا لثوابه لا يفعل ذلك لمصلحة دنيوية و لا لمآرب شخصية ، و إنما يفعل ذلك تقربا لله لأن الله سبحانه و تعالى أمر بذلك،أمر بالصلاة و أمر بالزكاة و أمر بالصيام و أمر بطاعة ولي الأمر ،في خطبة النبي عليه الصلاة و السلام في حجة الوداع قال: (اعبدوا ربكم و صلوا خمسكم وصوموا دهركم و أدوا زكاة مالكم و أطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم) الذي أمرنا بالصلاة و الصيام و الزكاة هو الذي أمرنا بطاعة ولي الأمر فنحن نطيع ولي الأمر طاعة لله ،ونطيع ولي الأمر طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفعل ذلك تقربا لله نريد بذلك ثواب الله لأن الله سبحانه و تعالى أمرنا بذلك في كتابه { وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُم } و أمرنا بذلك عليه الصلاة و السلام في سنته و ذكر طاعة ولي الأمر مضمومة إلى الصلاة و الزكاة و الصيام ذكرها مضمومة إلى هذه الطاعات الكبار مما يشير إلى أن طاعة ولي الأمر مصلحة كبرى للأمة الإسلامية العبادات و أمور الزكاة و مصالحهم و عباداتهم كلها لا تستقيم إلا بوجود ولي أمر لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم و سراة لهم إذا جهالهم سادوا ،الناس لا يستقيم أمرهم فوضى كل على رأسه بل إذا حال الناس كذلك ليس عليهم ولي أمر فإن مصالح الناس تضيع ،والدماء تسيل والأعراض تُنتهك و

الأموال تُستلب و العبادة لا تُؤذى بطمأنينة لا يمكن أن يؤدي الناس الصلوات الخمس بطمأنينة و لا يمكن أن يتحقق لهم طلب العلم في محافل العلم و مجامع العلم و مجالس العلم بطمأنينة ، لأن الفوضى ستعم في المجتمع و الشر يزيد وكل لا يُقضى عليه بإذن الله إلا إذا انتظم الناس على أمير و إمام يقيم الحدود ينظم الأمور يرتب أحوال المسلمين حتى تنتظم كلمة المسلمين ،ولو كان الأمير فاجرا فالسمع و الطاعة مطلوب إلا إذا أمر بمعصية أما يأمر بأمور فيها مصالح الناس تنظيم الأحوال ترتيب أمور المجتمع إلى آخره يطاع لأن أصلا لا تستقيم و تنتظم مصالح الأمة إلا بذلك ،ولهذا أمر عليه الصلاة و السلام وكان من عقيدة أهل السنة السمع و الطاعة للأمير براكان أو فاجرا لكن الفاجر لا يُطاع فيما يأمر به من معصية يُطاع في مصالح الأمة الأخرى ،أما إذا أمر بمعصية قال لا تصلوا لا يُطاع إذا قال اشربوا الخمر لا يُطاع لا يجوز أن يُطاع إذا قال افعلوا الفواحش لا يجوز أن يُطاع ،فكل معصية يأمر بها يحرم أن يطاع فيها ، لأن النبي عليه الصلاة و السلام قال : (إنما الطاعة بالمعروف ،و لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) و لا يجوز للمسلم أن يشق عصى المسلمين و أن ..على ولاة الأمر ،بل الواجب عليه أن يدين بالنصيحة لولاة الأمر كما أمر بذلك عليه الصلاة و السلام و جعله دينا قال الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : (لله و لرسوله و لكتابه و لأئمة المسلمين و عامتهم) فجعل النصيحة لولاة الأمر ولعامة المسلمين من الدين جزء من الدين الذي يدين المسلم به لرب العالمين و يتقرب به إلى الله جل وعلا ، والنصيحة لولي الأمر تكون بالسمع و الطاعة في المعروف تكون بعدم ..عليه و عدم نزع اليد من الطاعة وعدم الخروج و عدم شق العصا و تكون أيضا بالدعاء لولي الأمر يُدعى له بالخير وبالصلاح بالعافية بالسداد يُدعى له هذه من النصيحة ،الإمام أحمد –رحمه الله – يقول :لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان .لماذا ؟ لأن السلطان صلاحه صلاح للرعية ،والفائدة في صلاحه راجعة عليه و راجعة للرعية ، فيُدعى له بالصلاح يُدعى له بالتوفيق يُدعى له بسداد الرأي يُدعى له بالبطانة الصالحة بأن يصرف عنه بطانة السوء ،يُدعى له بذلك ،هذا كله من النصيحة لولي الأمر ،والمسلم يفعل ذلك تقربا لرب العالمين لأن هذه المعاني كلها موجودة في سنة النبي عليه الصلاة و السلام ،و من يقرأ ما كتبه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه فيما يتعلق بالإمارة في كتاب مستقل يجد الأحاديث الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في تقرير هذه المعاني ولهذا ينبغي أن يفعل ذلك المسلم تقربا إلى الله سبحانه و تعالى يتدين بذلك لأن هذا جزء من الدين الذي يتقرب به إلى الله و يثاب المسلم على ذلك ،كما أن من ينزع اليد من الطاعة و يشق العصا يُعاقب يعاقبه الله جل و علا على ..وعلى شقه لعصا المسلمين ،فإنه في المقابل كذلك رب العالمين يثيب من يلزم الجماعة و يطيع الإمام و يسمع و يطيع متقربا بذلك إلى الله جل و علا .

القارئ: قال : ويرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر باليد و إلا باللسان و إلا فبالقلب على حسب مراتبه الشرعية و طرقه ال..

الشيخ : قال :و يرون –أي أهل السنة و الجماعة – أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، لأن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هو أساس في انتشار الخير في المجتمع المسلم و انحسار الشر ويحتاج المجتمع إلى آمرين ناهين ،آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر حتى ينتشر الخير في المجتمع و ينحسر الشر و ينحسر المنكر ،قال الله تعالى :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ ارتبط بخيرية الأمة أمرها بالمعروف و نهيها عن المنكر ، فأمرها بالمعروف و نهيها عن المنكر جزء لا يتجزأ من خيريتها وكلما قوي فيها الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قويت فيها الخيرية ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ فالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أمر له أهميته العظمى و مكانته العليا في الدين ،حتى إن بعض العلماء على سبيل الاهتمام و التأكيد على مكانة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عده بعض أهل العلم ركنا سادسا من أركان الإسلام على سبيل الاهتمام به و إلا الصحيح أن أركان الإسلام خمسة (بُني الإسلام على خمس) لكن على سبيل الاهتمام و أن الصلاة و العبادات و انكفاف الشر في المجتمع لا يتحقق إلا بوجود الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عده بعض أهل العلم ركنا سادسا ،والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يُعد صمام أمان للمجتمع ،و سبب خيرية للأمة و أساس صلاح وفلاح ، و الأمة لا تزال بخير ما زال فيها آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾ وهذا فيه فائدة أن الصغير من أبناء المسلمين ينبغي أن ينشأ صالحا مصلحا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر يتربى على ذلك من صغره ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ ولم يقل ومالك و مال الآخرين ،قال : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ و الشاب عندما ينشأ من صغره آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر فإنه بإذن الله سبب صلاح في الشباب في المحيط الذي حوله ،و أقل الأحوال في ذلك أن يسلم هو من دعاة الشر ،كما قيل قديمًا :إذا لم تدعو تُدعى ، الشاب الناشئ على الخير إذا لم يدعو إلى الخير سيكون غرضا لدعاة الشر و دعاة الفساد بينما إذا نشأ على الخير وعلى الأمر بالخير فإنه أقل الفوائد التي تُستفاد في هذا المقام أن يسلم من دعاة الشر ،لأن دعاة الشر لا يفكرون دعوته إلى الشر وهو مشتغل بالدعوة إلى الخير ،فالشاهد أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فضيلة للمجتمع وأساس خيرية للمجتمع ولا بد من وجوده في المجتمع ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ إذا لم يوجد في المجتمع متواصين بالحق متواصين بالصبر آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فإن عرى الخير فيه تتقوض والشر فيه يفشو ويزيد ولهذا الأمة في حاجة ماسة و لضرورة ملحة لوجود الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر ، فهم صمام أمان للمجتمع و سبب خير لوجود الخير في الأمة .

قال : باليد و إلا باللسان و إلا فبالقلب ،هنا يشير –رحمه الله تعالى – إلى مراتب تتغير المنكر،و أن مراتب تغيير المنكر ثلاث كما قال عليه الصلاة والسلام : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم

يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) فهذه مراتب تغيير المنكر وهي ثلاث مراتب ،المرتبة الأولى وهي التغيير باليد وهذه لولي الأمر و لمن ينيبه ولي الأمر،ليغير بيده بحيث إذا المنكر يكسره و يحطمه و يتلفه و يقضي عليه ،فهذا بيد ولي الأمر أو من ينيبه ولي الأمر ،من الأجهزة التي تتولى القضاء على المنكرات و الإجهاز على المنكرات ،وكذلك التغيير باليد للإنسان في حدود مسؤوليته مثل الأب في بيته ،الأب في بيته يغير بيده إذا رأى منكرات في بيته له سلطة و له ولاية على بيته لكن إذا رأى منكر في الشارع وغيّر بيده و الثاني أيضا غيّر بيده و الثالث غيّر بيده ماذا سيحصل في المجتمع ؟ ستعم الفوضى ،ولهذا قال عليه الصلاة و السلام : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع)إذا كان يترتب على المنكر منكرا أشد وفوضى تعم في المجتمع و بلاء يزيد هذا ليس مطلوب شرعا ،ليس المهم أن تكسر المنكر ثم تعم فوضى في المجتمع ،لأن درء المفسدة يجب أن يُضبط بحيث أنه لا يترتب عليه مفسدة ،أما إذا كان يغير مفسدة و يجلب مفسدة أخرى أو مفاسد هذا ليس مأمورا به شرعا ، قال : (فإن لم يستطع فبلسانه) و التغيير باللسان ممن عنده قدرة على البيان ، و إقامة الحجة و إيضاح الدليل ، كأن يقول لصاحب المنكر هذا حرام لأن الله تعالى يقول كذا ، ويقول عليه الصلاة و السلام كذا ،و العلماء قالوا كذا ،فيبين له و ينكر المنكر أيضا بدليل ،لكن لو أنه أراد أن ينكر منكرا و لا علم عنده ، وقال هذا حرام مُنِكرا ثم قال له صاحب المنكر ليش حرام ؟ ماذا يقول ؟ ما أدري ! فإذن لابد الإنكار و الأمر أن يكون بعلم و ببصيرة ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ فينكر المنكر و يأمر بالمعروف ببصيرة ،و أيضا كما قال أهل العلم : ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ،و ليكن نهيك عن المنكر بغير المنكر ، بل يتقي الله عز و جل ،ولهذا أهل العلم ذكروا شروط للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في مقدمتها العلم فيما يأمر به و ينهى عنه ،و أيضا الرفق في الأمر و الرفق في النهي ،لا يتعامل بالفضاضة و الغلظة و الشدة ، و أيضا يترتب على الشيء الذي ينكره مفسدة أعظم بل ينكر بحيث أن الشر يزول أو يقل ،أما أن يترتب على الإنكار مفسدة أعظم و مضرة أعظم فلا يجوز له ،والمرتبة الثالثة الإنكار بالقلب ، قال : (فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان) و الإنكار بالقلب أن يكره المسلم المنكر و أن يكره وجوده ،و أن يبغض ذلك ،وهذه درجات أضعف الإيمان ،قال : (و ذلك أضعف الإيمان) (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) في الحديث الآخر قال : (فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ،ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ،ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) أي أن الإيمان أو الإنكار بالقلب و المجاهدة بالقلب هي أضعف شيء يوصف بأنه إيمان وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ، قال : على حسب مراتبه الشرعية باليد و باللسان و بالقلب وكل من ذلك حسب الاستطاعة و طرقه المرعية أي بالضوابط و الشروط و الآداب المرعية المستفادة من كتاب الله و سنة نبيه عليه الصلاة و السلام .

القارئ :قال : وبالجملة فيرون القيام بكل الأصول الشرعية على الوجه الشرعي من تمام الإيمان والدين. ومن تمام هذا الأصل. طريقهم في العلم والعمل.

الشيخ : قال : و بالجملة فيرون القيام بكل الأصول الشرعية على الوجه الشرعي من تمام الإيمان و الدين ، يعني كأنه ينبه أن ما ذكره هنا من أصول شرعية ليس على سبيل الاستقصاء و إنما على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر ،فثمة أصول شرعية أخرى لم يذكرها وهي مذكورة في كتب العقائد و الموسوعات التي في بيان الإيمان فيقول الشيخ –رحمه الله– : و بالجملة فيرون–أي أهل السنة –القيام بكل الأصول الشرعية على الوجه الشرعي من تمام الإيمان و الدين أي أن الإيمان و الدين لا يتم إلا بتحقيق جميع الأصول الشرعية المستمدة من كتاب الله جل و علا و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،ثم مهد للأصل الخامس والأخير بقوله : ومن تمام هذا الأصل طريقهم في العلم و العمل ،من تمام هذا الأصل – أي مسألة الإيمان – طريق أهل السنة في العلم و العمل ،ما هي طريقتهم في العلم و العمل ؟ ما المنهج الذي يسلكونه في العلم و العمل ؟ لأهمية هذا الأمر أفرد له –رحمه الله – أصلا مستقلا وهو الأصل الخامس.

القارئ :قال –رحمه الله تعالى – : **الأصل الخامس**

طريقهم في العلم والعمل

وذلك أن أهل السنة والجماعة يعتقدون ويلتزمون أن لا طريق إلى الله وإلى كرامته إلا بالعلم النافع والعمل الصالح.

فالعلم النافع هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيجتهدون في معرفة معانيها والتفقه فيها أصولاً وفروعاً.

ويسلكون جميع طرق الدلالات فيها دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام.

ويبذلون قواهم في إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم الله، ويعتقدون
أن هذه هي العلوم النافعة هي وما تفرع عليها من أقيسة صحيحة ومناسبات حكيمة.

وكل علم أعان على ذلك أو وازره أو ترتب عليه فإنه علم شرعي كما أن ما ضاده وناقضه فهو علم باطل فهذا طريقهم في العلم.

وأما طريقهم في العمل فإنهم يتقربون إلى الله تعالى بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات وأساسها، ثم يتقربون له بأداء فرائض الله المتعلقة بحقه وحقوق عباده مع الإكثار من النوافل وبترك المحرمات والمنهيات تعبداً لله تعالى.

ويعلمون أن الله تعالى لا يقبل إلا كل عمل خالص لوجهه الكريم مسلوكاً فيه طريق النبي الكريم، ويستعينون بالله تعالى في سلوك هذه الطرق النافعة التي هي العلم النافع والعمل الصالح الموصل إلى كل خير وفلاح وسعادة عاجلة وآجلة.

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه

وسلم تسليماً كثيراً.

الشيخ : و صلى الله على محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا كما في المخطوطة.

ثم قال –رحمه الله – :الأصل الخامس طريقهم في العلم و العمل ،العلم و العمل هما أساس الإيمان بل الإيمان مبني على ذلك على علم و عمل على علم نافع و عمل صالح مقرب إلى الله ،و الدين كله إما أمور علمية أو عملية يتقرب بها إلى الله ،قال الله تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ و الهدى هو العلم النافع و الدين الحق هو العمل الصالح المقرب إلى الله تبارك و تعالى ،فما هي طريقة أهل السنة و الجماعة في العلم والعمل ؟ قال :وذلك أن أهل السنة و الجماعة يعتقدون و يلتزمون ألا طريق إلى الله و إلى كرامته إلا بالعلم النافع و العمل الصالح ،يعني لا يمكن أن يفوز عبد برضا الله و كرامته و ثوابه و جنته و ينجو من سخطه و عقابه إلا بالعلم النافع و العمل الصالح ،و بهما أرسلت الرسل ،و أنزلت الكتب ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ أي: بالعلم النافع و العمل الصالح ،فلا يمكن أن يصل عبد لنيل رضا الله و الفوز بثوابه و النجاة من عقابه إلا بالعلم النافع و العمل الصالح ، ولهذا شُرع لنا أن ندعو الله كل يوم فرضا لازما سبعة عشرة مرة قائلين ﴿ **اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ ،﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾ أي الذين جمعوا بين العلم النافع و العمل الصالح هؤلاء هم المنعم عليهم الذين جمعوا بين العلم النافع و العمل الصالح ، ﴿ غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ وهم الذين عندهم علم لا يعملون به ، ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ وهم الذين عندهم عمل بلا علم ،فلا يكون العبد من المنعم عليهم إلا بالعلم النافع و العمل الصالح ، فبالعلم النافع و العمل الصالح يفوز العبد برضا الله و كرامته و ثوابه ،وقد كان نبينا عليه الصلاة و السلام كل يوم

بعد صلاة الصبح يدعو بثلاث دعوات ،والحديث ثابت في السنن و المسند وغيرها ،كان يدعو بثلاث دعوات كل يوم بعد صلاة الصبح

(اللهم إني أسألك علما نافعا و رزقا طيبا و عملا صالحا) هذه ثلاث دعوات كان عليه الصلاة و السلام يدعو بها كل يوم بعد صلاة الصبح ، وينبغي على المسلم أن يحرص على هذه الدعوات الثلاث كل يوم بعد أن يصلي الصبح (اللهم إني أسألك علما نافعا و رزقا طيبا و عملا صالحا) وفي رواية (وعملا متقبلا) و لو تأملت في أهداف المسلم في يومه لوجدت أنها لا تخرج عن هذه الثلاث ،هل تعلمون للمسلم في يومه هدفا غير هذه الثلاث المذكورة في الحديث :العلم النافع ،و العمل الصالح ،والرزق الطيب؟ الحديث جمع أهداف المسلم في يومه ،و استعان بالله و سأله سبحانه و تعالى على تحقيقها و تيسيرها و تتميمها ،الشاهد أن سعادة المسلم و فلاحه و فوزه برضا الله تبارك و تعالى إنما يكون بهذين الأمرين : العلم النافع ،و العمل الصالح ،و لهذا كل يوم إذا أصبحت تهيأ نفسك لتحصيل هذين المطلبين ،كل يوم إذا أصبحت تهيأ نفسك لتحصيل هذين المطلبين العلم النافع و العمل الصالح ،احذر أن تغرب شمس يوم لا تحصل فيه علم نافعا،فهذا من الخسران ،لا تمضي عليك شمس يوم دون أن تحصل علما ينفعك في دينك ،ينفعك فيما خُلقت لأجله و وجدت لتحقيقه فاحرص كل يوم ، و إذا أصبحت تقول اللهم إني أسألك علما نافعا وتطلب العلم تحرص على العلم تحرص على مجالس العلم تطلب مجالس العلم ،اجعل لمجالس العلم حظا من حياتك ،أنت خُلقت للعلم النافع و العمل الصالح ، ولا يمكن أن تفوز برضا الله و كرامته و ثوابه إلا بالعلم النافع و العمل الصالح،و إذا مضى الإنسان في حياته هكذا بدون علم ، يمشي حياته إلى أن تنقضي أشبه ما يكون ببهيمة الأنعام ، بهيمة الأنعام تأكل و تشرب و ترتب بيتها و تنظم حالها و تلعب..إلى آخره ،لكن إذا وجد العلم النافع و العمل الصالح تميز الإنسان ،لا يتميز الإنسان إلا بالعلم النافع و العمل الصالح ، فهذا أساس الخيرية و سبب السعادة و الكرامة عند الله سبحانه و تعالى ،ولهذا ينبغي على المسلم على أن يحرص في أيامه أن يكتسب من العلوم النافعة ما ينفعه الله سبحانه وتعالى به ،الله قال لنبيه عليه الصلاة و السلام :﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ و هكذا ينبغي على المسلم يسأل الله أن يزيده علما و يحرص على الازدياد في العلم ،وينبغي إذا كانت نفسه انفلتت منه فترة من الزمان في اللهو و الضياع و مجالس في الضياع أن يوقف نفسه يقول :يا نفسي إلى متى ؟! إلى أن أموت ؟! إلى أن ألقى الله سبحانه و تعالى و أنا على هذا الضياع المستمر إلى متى ؟! يا نفس كفى ضياعا ،كفى تفريطا، كفى إهمالا ،يا نفس أنتِ على مقربة من ملاقاة الله على مقربة من الحساب ،إلى متى هذه المجالس الضائعة ؟ و الأوقات الضائعة ؟ فيحاسب نفسه و يبدأ بعزيمة و نشاط و بهمة عالية و رغبة أكيدة في الدعاء المأثور عن نبينا عليه الصلاة والسلام اللهم إني أسألك العزيمة على الرشد ،والغنيمة من كل بر،فيحرص المسلم على ذلك و يعتني بذلك ويجتهد في التحصيل ،والشيخ الآن سيعرض لنا المنهج الذي عليه أهل السنة في جانب العلم و المنهج الذي عليه أهل السنة في جانب العمل باختصار مفيد ،

في جانب العلم قال: فأما العلم النافع هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيجتهدون-أي أهل السنة –في معرفة معانيها و التفقه فيها أصولا و فروعا ،أي معاني القرآن ومعاني السنة ويتفقهون في ذلك أصولا وفروعا ؛لأن الدين أصول و فروع ،أصول وهو العقائد و فروع وهي العبادات والأعمال ،فيجتهد المسلم أن يتفقه في دينه ،والعلماء – رحمهم الله – كتبوا كتابات في باب الأصول وفي باب الفروع ترتب لك هذه المسائل و جمعوها لك و رتبوها من القرآن و السنة فمثلا تجد في التوحيد ،يعني على سبيل المثال كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله – أكثر من ستين بابا ،مبوبة على مسائل التوحيد المهمة ،باب الخوف من الشرك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ ويبدأ يسوق لك الآيات و الأحاديث التي تتعلق بهذا الباب ،ينتقل إلى باب آخر و يجمع لك الآيات و الأحاديث ، فعندما تريد أن تتفقه في عقيدتك ترجع إلى هذه المختصرات التي كتبها أهل العلم في الاعتقاد مثل كتاب التوحيد للشيخ محمد ،وكتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ،و قبل ذلك كتاب الأصول الثلاثة للشيخ محمد-رحمه الله – ،وغيرها من المختصرات المبنية على الدليل قال الله قال رسول صلى الله عليه وسلم ،دعك من المختصرات المبنية على عقول الرجال ،وعلى الآراء و على الظنون وعلى التخرصات كل هذا دعه وخذ الكتب التي بُنيت على قال الله قال رسوله ،العلم قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم هذا العلم ،فتأخذ في جانب الاعتقاد المختصرات التي كتبها أهل العلم في بيان العقيدة و التوحيد ،وتحرص على قراءتها إن كنت ذا حافظة فاحفظها إذا كنت لست ذا حافظة اقرأها مرات كثيرة حتى تكون أشبه بالمحفوظة عندك ،و إن لم تحفظها اقرأها عشرين ثلاثين أربعين مرة تجد أنها في ذهنك أشبه بالمحفوظة و إن لم تكن محفوظة مثل ما يحفظها طلبة العلم المتقنين تكون عندك أشبه بالمحفوظة وهذا خير ، تنتقل مثلا لكتاب الأربعين للنووي –رحمه الله – هذا كتاب عظيم جدا،عظيم من أعظم الكتب وأنفعها و إن تمكنت من حفظه فهذه غنيمة ،و إن لم تتمكن اقرأه مرات كثيرة حتى يكون أشبه بالمحفوظ ،ثم تتفقه في المعاني ما الطريقة للتفقه في المعاني؟ تستفيد من أشرطة أهل العلم تستفيد من شروحات أهل العلم تستفيد من طلاب العلم إذا كان في بلدك طلاب علم يشرحون لك هذا الكتاب أيضا تستفيد منهم المهم تجاهد نفسك على التفقه في دين الله تبارك و تعالى ،تنتقل إلى مثل عمدة الأحكام و بلوغ المرام في الفقه في جانب العبادات و المعاملات لتعبد الله سبحانه و تعالى على بصيرة ،وهكذا تتنقل في أنواع العلوم وعلوم الشريعة تتزود وتترقى و تزداد في العلم قال :فيجتهدون في معرفة معانيها و التفقه فيها أصولا و فروعا ،و يسلكون جميع طرق الدلالات فيها دلالة المطابقة و دلالة التضمن و دلالة الالتزام ،وهذه .معروف عند أهل العلم في دلالات النصوص نصوص الكتاب والسنة ،نصوص الكتاب والسنة دلالتها ثلاث دلالة مطابقة ودلالة التضمن ودلالة التزام ،ودلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على كامل معناه ،إذا استدللت بالآية أو بالحديث أو باللفظ على كامل معناه فالدلالة تُسمى مطابقة ،و إذا استدللت به على بعض معناه فالدلالة دلالة تضمن، مثلا عندما تقرأ قول الله

سبحانه وتعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ تجد مثلا في بعض كتب التفسير الطاغوت الشيطان ، الدلالة هنا مطابقة أو تضمن ؟ تضمن ؛لأن الطاغوت أوسع الطاغوت دلالته أوسع يشمل أشياء كثيرة الطواغيت كثيرون ،فعندما يُقال الطاغوت الشيطان دلالة تضمن لأن مما تتضمنه الآية في دلالتها الأمر باجتناب الشيطان لأن الشيطان طاغوت بل هو أكبر الطواغيت ،وهكذا يعني إذا استدللت بالآية على كامل المعنى أو كامل دلالة اللفظ فالدلالة مطابقة و إذا استدللت به على بعض المعنى أو جزء منه من المعنى فالدلالة تضمن و إذا استدللت به على أمر خارج المعنى أو خارج اللفظ ،فالدلالة دلالة التزام و دلالة الالتزام واسعة ،وهي مجال للاستنباط و استخراج الأحكام من الأدلة يلزم من كذا كذا ،و نأخذ مثالا في هذه الدلالة ،دلالة الألفاظ مطابقة و تضمنا و التزاما في باب الأسماء الحسنى ، مثلا قول الله جل وعلا في القرآن : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ السميع هذا اللفظ يدل دلالة مطابقة على صفة السمع و على ذات الله ؛ لأن أسماء الله جل و علا لها اعتباران اعتبار دلالة على الذات ،واعتبار دلالة على الصفات ،فإذا اثبت الأمرين من الاسم فالدلالة مطابقة ،و إذا اكتفيت بالاستدلال من هذا اللفظ على أحدهما قلت يدل قوله ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ على ثبوت السمع صفة لله ،الاستدلال هنا تضمن ،إذا قلت يلزم من ثبوت السمع لله أو كونه سميعا أنه حي هذا دلالة التزام ، فإذا استدللت باللفظ على كامل معناه فالدلالة مطابقة على بعض معناه ،دلالة تضمن على أمر خارج معناه فالدلالة دلالة التزام و أهل السنة يُعملون هذه الدلالات كلها كما قال الشيخ يسلكون جميع طرق الدلالات فيها ،أي في نص الكتاب و السنة دلالة المطابقة و دلالة التضمن و دلالة الالتزام ،قال ويبذلون قواهم أي يبذل ما استطاع من قدرة في الفهم و النظر و الاستنباط و التأمل يبذلون قواهم في إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم الله و المدارك والعقول و الأفهام متفاوتة ،مايز الله سبحانه و تعالى بين الناس في المدارك و العقول و الأفهام ،ورب حمل فقه إلى من هو أفقه منه ،و ر ب حامل فقه غير فقيه ، فيبذلون قواهم يعني يبذل ما استطاع في إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم الله و يعتقدون أن هذه هي العلوم النافعة ، يعني علوم الكتاب و السنة و ما كان خادما للكتاب و السنة هذه هي العلوم النافعة،العلم النافع هو كلام الله و كلام رسوله عليه الصلاة و السلام و العلوم التي تخدم كتاب الله و سنة نبيه صلوات الله و سلامه عليه ،قال أن هذه العلوم النافعة هي و ما تفرع عليها من أقيسة صحيحة و مناسبات حكمية ،أي مأخوذة و مستمدة من كتاب الله جل وعلا لأن الأقيسة الصحيحة التي تُبنى على قواعد صحيحة في مراعاة المقيس و المقيس عليه هذا أيضا من العلم وه متفرع عن الكتاب و السنة لأن القياس الصحيح المبني على أصول صحيحة هو في الحقيقة متفرع عن دلالة كتاب الله و سنة رسوله عليه الصلاة و السلام و أيضا مراعاة المناسبات في الآيات و في الأحاديث هذا كله من العلوم المتفرعة عن كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،قال :و أيضا وكل علم أعان على ذلك يعني مثل علوم الآلة ،كل علم أعان على ذلك أو وازره أو ترتب عليه فإنه علم شرعي ،إذا تعلمت النحو تعلمت اللغة و أنت تقصد بذلك أن تفهم القرآن والسنة

هذه قربة تتقرب بها إلى الله عز و جل وهي من العلم الشرعي المحمود الذي يعينك على فهم كتاب الله و سنة رسوله عليه الصلاة و السلام ،قال : كما أن ما ضاده وناقضه فهو علم باطل ،العلوم المضادة للقرآن و السنة مثل علم السحر و علم الشعوذة وعلوم الضلال،وعلم الكلام الباطل وغير ذلك من العلوم المضادة المصادمة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هذه كلها الواجب تركها ،ولهذا حذر منها أئمة السلف ونهوا عنها و بينوا خطورتها ،قال : كما أن ما ضاده وناقضه فهو علم باطل أي يجب اجتنابه والحذر منه والبعد عنه ،قال :فهذا طريقهم في العلم ،هذا طريق أهل السنة و الجماعة في العلم مرتبين بهذه الطريقة يسيرون في ضوء كتاب الله و سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ،ما هي طريقتهم في العمل ؟ قال :و أما طريقهم في العمل فإنهم يتقربون إلى الله تعالى بالتصديق و الاعتراف التام بعقائد الإيمان ،هذا الأساس الذي يُبنى عليه الدين كله أن تتقرب إلى الله جل و علا بأن تصدق كل ما أمرك الله جل وعلا بالتصديق به و أن تقر بكل ما أمرك الله سبحانه وتعالى بالإقرار به ،انظر القربة العظيمة ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ هذه أعظم قربة ،بل قربة الصيام و قربة الصلاة و قربة الحج وقربة بر الوالدين إلى غير ذلك من القرب لا تُقبل منك إلا إذا كان عندك هذا الأصل ،إلا إذا كان عندك هذا الأصل الإيمان بالله و بكل ما يأمرك سبحانه و تعالى بالإيمان به ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ هذه أعظم القرب أن تتقرب إلى الله بالتوحيد أن تتقرب إلى الله بالإيمان بالتصديق بالإقرار بكل ما أمرك الله سبحانه و تعالى أن تقر به ،فهذه أعظم ما تتقرب به إلى الله سبحانه و تعالى وهو الأساس و به يُبدأ وهو الخطوة الأولى في طريق العمل ،وتمضي معك في حياتك كلها ،قال : فإنهم يتقربون إلى الله تعالى بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات و أساسها و إذا فُقد الأصل و الأساس انهدم البناء ولم يستقم بناء ،قال الله تعالى ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ وقال تبارك و تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ ﴾ النفقة عمل صالح يحبه الله ،قال :﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ الكفر محبط للأعمال ،العمل لا يُقبل إلا بالإيمان ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ إذن لو عمل عملا صالحا ولم يؤمن لم ينتفع بعمله ،في الآية الأخرى قال : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴾ معنى ذلك لو أنه أراد الآخرة و سعى للآخرة سعيها لكنه لم يؤمن لم يوجد عنده الأصل لا يكون سعيه مشكورا عند الله ،السعي لا يكون مشكورا عند الله إلا إذا أقيم و أسس على الإيمان ،فعقائد الدين هي أصول و أسس يقوم عليها الإيمان و تنبني عليها الأعمال و الطاعات ،فإذا فُقد الأساس لم يُنتفع بأي طاعة و لا بأي عمل .

قال: ثم ،يعني بعد صلاح الاعتقاد و صلاح الإيمان ،ثم يتقربون له بأداء الفرائض بأداء فرائض الله المتعلقة بحقه و حقوق عباده ،والله سبحانه و تعالى يقول في الحديث القدسي : [ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما

افترضته عليه] هذا الحديث و الله يا إخواني ينبغي على كل مسلم أن يفهمه واقع الناس العملي واقع كثير من الناس العملي يدل على أنهم في غفلة تامة عن هذا الحديث [ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ،ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه] لكن الفرائض هي المقدمة هي الأساس ،الآن ترى في واقع كثير من الناس العملي يواظب مواظبة دقيقة على نوافل ولكن بعض الفرائض عنده مضيعة تماما أو متهاون بها ،إذا كنت تريد أن تتقرب إلى الله جل و علا و تطلب رضاه لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إلى الله من الأمور التي افترضها سبحانه و تعالى عليك ،و إذا حضر وقت الفرض ألغي كل شيء حتى لو كان الشيء الذي بيدك عملا صالحا ،إذا نودي للصلاة المكتوبة و أنت تسبح و أنت تتلو القرآن و أنت تعلم العلم كل هذه تتوقف لأنه لن تتقرب إلى الله سبحانه و تعالى بشيء أحب إليه مما افترضه عليك ،ذكروا لنا مرة قصة رجل في إحدى البلدان جالس في زاوية من الزوايا ما يقوم منها حتى للصلوات الخمس ما يقوم قالوا هذا نذر نفسه للصلاة و السلام على النبي عليه الصلاة و السلام،الصلاة و السلام على النبي قربة عظيمة وطاعة جليلة و عمل صالح يحبه الله لكن لو أقيمت الصلاة المكتوبة و جلست في بيتي أصلي على النبي صلى الله عليه وسلم و أترك الصلاة المفروضة ،هل أنا أديت طاعة الله سبحانه و تعالى ؟ لا ،مع أن الإنسان في عمل صالح يصلي على النبي عليه الصلاة و السلام لكن تضييع الفرائض على حساب النوافل هذا خسران وسبب للحرمان و سبب لعقوبة الله تبارك و تعالى لعبده ،فما بالك بمن يُنادى للفرائض وهو مشتغل بتوافه الدنيا؟ الآن يُنادى للصلاة في المساجد حي على الصلاة حي على الفلاح و يمسك فنجان الشاي يشرب إلى أن تنقضي الصلاة وهو جالس في مكانه ما يقوم ،الأخ مسلم ؟ يقول نعم مسلم، وين تحقيق الإسلام؟! وين طاعتك لله جل وعلا ؟! وين أداءك لما افترضه الله سبحانه و تعالى عليك؟! فنجان شاي يصرفك عن فريضة ؟ أين عقلك ؟ فنجان شاي ماء حار بداخله ورق أحمر و قليل من السكر يصرفك عن فريضة خُلقت لأجلها ؟! أين عقلك؟ أين دينك أين تقربك إلى الله سبحانه و تعالى ؟ (العهد الذي بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) أين تدينك و تقربك لله إذا كان فنجان الشاي يحرمك من فريضة ؟! و البائس الآخر يحرمه من فريضة الصلاة اشتغال بالمحرمات يجلس على المعصية و على الأمر المحرم و ينحرم من فريضة الله سبحانه و تعالى أين التدين ؟ و أين صلاح العمل ؟ و أين الصدق مع الله ؟ و أين الاستعداد للآخرة {و تزودوا } إذا كان الإنسان هكذا يمضي في حياته ضائعا تائها .. ولهذا هذا الحديث القدسي العظيم ،والله نحتاج إلى مراجعته مرات كثيرة حتى تصلح احوالنا [ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل] النوافل يتقرب إلى الله سبحانه و تعالى بها بعد الفرائض ليس على حساب الفرائض،و إذا ترك الإنسان النوافل لا يحاسبه الله يوم القيامة ، إذا كان مؤديا للفرائض مبتعدا عن المحرمات لا يحاسبه الله على ترك النوافل ،لكنه يفوته أجرها و منازلها الرفيعة والعالية في جنات النعيم لكن لا يحاسبه الله عليها لأن اسمها نوافل اسمها مستحبات اسمها رغائب ،وتجد الخلل في جانب العمل عند بعض الناس ،

بعض النوافل ما يفوتها لكن بعض الفرائض مضيعة تماما ،حتى أيضا في جانب الفرائض تجد بعض الناس يحافظ على بعض الفرائض و يضيع فرائض أهم منها ،خذوا ترتيب الدين كما فُرض على نبينا عليه الصلاة و السلام أول ما فُرض عليه التوحيد ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۞وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ هذا كله توحيد ،هذا أول ما فُرض عليه ،و أول ما أمر بالدعوة إليه و كم مضى يدعو إلى هذا فقط ؟ عشر سنوات ،ثم جاءت الصلاة بعد عشر سنوات ، عشر سنوات توحيد فقط لم يُفرض على النبي صلى الله عليه وسلم إلا هو ثم بعد عشر سنوات جاءت الصلاة ،بعد الصلاة بخمس سنوات تقريبا فُرضت الزكاة و فُرض الصيام في السنة الثانية من الهجرة ،والصلاة قبل الهجرة بثلاث سنوات ،فخمس سنوات صلاة ثم فُرضت الزكاة و الصيام في السنة الثانية بعدها بخمس سنوات تقريبا فُرض الحج في السنة التاسعة الآن تجد من يحج و لا يصلي ،حتى في المناسك يشهد المناسك والصلاة يضيعها أو يتهاون بها ،هل هذا عرف فرائض الإسلام ؟وهل هذا عرف الجادة الصحيحة في التعبد و التقرب إلى الله سبحانه و تعالى ؟ نعم هو يريد الخير يعني بعضهم تجده جمع المال من أجل الحج ستين سنة ، ستين سنة وهو يجمع الجنيه و الثاني و الثالث و الرابع إلى آخره إلى أن تجتمع و يقدمها للحج يريد ثواب الله لكن عنده خلل عدم فهم لم يجد من يبصره بدينه تبصيرا صحيحا ،فتجده يأتي متكلفا متعنيا جامعا هذا المال الكثير يشق على نفسه السفر يريد ثواب الله يأتي و الصلاة يضيعها ، و نشأ على الصلاة و نحن يصارحنا بعضهم بالخلل الذي عاش عليه في حياته مضيعا لفريضة الإسلام الصلاة ،قال عليه الصلاة و السلام عندما ذكرت عنده يوما قال : (من حافظ عليها كانت له نورا و برهانا و نجاة يوم القيامة ،و من لم يحافظ عليها لم يكن له نور و لا برهان و لا نجاة يوم القيامة وحُشر مع قارون و فرعون وهامان و أمية ابن خلف) من يرضى لنفسه أن يُحشر يوم القيامة جنبا على جنب مع فرعون ومع قارون ومع فرعون ومع هامان و مع صناديد الكفر؟ الذي يتهاون بالصلاة و يضيع الصلاة اختار لنفسه شاء أم أبى أن يكون جنبا إلى جنب مع فرعون ومع صناديد الكفر،لا حظ في الإسلام لمن ضيع الصلاة ،و لهذا عندما يعرف الإنسان طريقة أهل السنة والجماعة والطريقة الصحيحة في العلم يعرف كيف يعمل ،الآن تجد أناس عنده جانب العمل مثلا الصلاة محافظ عليها لكن التوحيد خرمه ،الصلاة محافظ عليها يصلي الصلاة في أوقاتها لكن التوحيد خرمه، الصلاة بدون توحيد لا تُقبل ،تجده يصلي لله يسجد و يركع لله سبحان ربي الأعلى سبحان ربي العظيم يؤدي الصلاة كاملة بعد ما ينتهي من الصلاة مدد يا فلان أدركني يا فلان، إن لم تلحقني يا فلان من يدركني إلى آخره ،هل هؤلاء فهموا العمل ؟ هل فهموا الجادة هل تبصروا في العبادة و التقرب إلى الله سبحانه و تعالى ؟ لهذا معرفة الجادة والبصيرة في الدين والسير على جادة سوية و طريق مستقيم تسعد والله ،أعرابي جاء إلى النبي عليه الصلاة و السلام طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه فرائض الإسلام أن يعلمه الدين قال عليه الصلاة و السلام : (تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله وتقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت إن استطعت على ذلك سبيلا) فمسك الرجل هكذا بيده

خمس هذه مسكها بيده فقال : والله لا أزيد على ذلك و لا أنقص، قال : (دخل الجنة إن صدق) مسكها بيده ،أمسكها بيدك أنت ،أما إنسان يضيع الصلاة و يوم القيامة يريد أن ينجو يضيع الفريضة و يريد أن ينجو و تجده يحب الخير يتصدق ينفق أخلاقه فاضلة معاملاته طيبة إلى آخره لكن الفريضة ضائعة ،ترجو النجاة و لم تسلك مسالكها ! انظر للذي عرف مسكها بيده قال : والله لا أزيد عليها و لا انقص ، قال : (أفلح إن صدق دخل الجنة إن صدق فالإنسان الفرائض هذه يضبطها أعظم فريضة التوحيد ثم الصلاة ،انتبه أن تضيع منك صلاتك انتبه الصلوات هي خمس ،خمس صلوات كتبها الله عليك في اليوم و الليلة ،ولا تأخذ منك وقتا وهي عون لك على الخير على الراحة ،على السعادة على زوال المشكلات ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ ﴾ كان عليه الصلاة و السلام يقول: (جُعلت قرة عيني في الصلاة) يقول : (حُبب إليّ من دنياكم الطيب و النساء و جُعلت قرة عيني في الصلاة) (حبب إلي من دنياكم الطيب و النساء) يحب عليه الصلاة والسلام ذلك ،وجُعلت قرة عيني ف الصلاة ،وكان يقول لبلال : (أرحنا بالصلاة) والآن حال بعض الناس أرحنا من الصلاة ، و إذا جيء و طولب بالصلاة صل يا فلان غضب و زمجر ، كيف يريد هذا أن يفوز برضا الله سبحانه و تعالى كيف يريد أن يرضى الله سبحانه و تعالى وهو مضيع لهذه الفريضة ؟! ولهذا يحتاج الإنسان إلى أن يفهم الأمر وبنعمة الله سبحانه و تعالى و منه وفضله الدين يسر ، تطبق الدين ما يأخذ منك جهدا ،وتسعد في الدنيا و الآخرة ،يقول عليه الصلاة و السلام : (بُعثت بالحنيفية السمحة) ويقول عليه الصلاة و السلام : (إن هذا الدين يسر) فالحمد لله ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ فيجب على المسلم أن يمشي على جادة السوية في طاعته لله وعمله وفيما يتقرب به إلى الله ،انظر الترتيب عند الشيخ –رحمه الله – أسطر قليلة لكنها حوت علما عظيما و ترتيبا مباركا ،قال : فإنهم يتقربون إلى الله تعالى بالتصديق و الاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات و أساسها .هذه النقطة الأولى الركيزة ،بعدها ماذا ؟ قال : ثم يتقربون إليه بأداء فرائض الله ، المتعلقة بحقه و حقوق عباده ، الله افترض عليك فرائض تتعلق بحقه هو سبحانه ،وافترض عليك فرائض تتعلق بحقوق العباد ،أيضا تقوم بهذه الفرائض التي افترض الله عليك في حقه هو و أيضا حقوق عباده ،مثلا بر الوالدين هذا حق ،صلة الأرحام حق ،وغير ذلك من الحقوق التي أمر الله سبحانه و تعالى عباده بها ،قال : مع الإكثار من النوافل ،احرص على النوافل نوافل الصيام ،نوافل الصلاة ،ونوافل الصدقات ،نوافل الحج و الاعتمار ، الحج لا يجب عليك في عمرك إلا مرة واحدة ، العمرة لا تجب عليك في عمرك إلا مرة واحدة ،الحج مرة فمن زاد فهو تطوع ،فالإنسان يحرص أيضا على النوافل و باب الأفضل في النوافل الأوفق للسنة في الوقت الذي تريد أن تتنفل فيه ،يعني أريد أن أعطيك مثالا ليتضح لك الأمر ،أذن المؤمن و بيدك المصحف ،قراءة المصحف نافلة تتقرب بها إلى الله وسماع الأذان الترداد مع المؤذن نافلة أيضا تتقرب بها إلى الله جل وعلا ،لكن النافلتين أفضل في هذا الوقت ؟ مع أن تلاوة القرآن أفضل الذكر،لكن إذا أذن المؤذن الأفضل أن توقف التلاوة و تسمع المؤذن ،لأن النبي عليه الصلاة و السلام قال

: (إذا سمعتم فقولوا مثل ما يقول) ولهذا أخذ العلماء هنا قاعدة في هذا الباب أن الأفضل في النوافل الأوفق للسنة في ذلك الوقت ،صليت الفجر بعد الصلاة في تسبيحات في تهليلات تأتي بها أفضل تأتي بأذكار الصباح في وقتها أفضل فكل عبادة أو نافلة تتقرب إلى الله سبحانه و تعالى في وقتها هي الأفضل ، فالأفضل في كل وقت الأوفق للسنة في ذلك الوقت ،هذه قاعدة الأفضل في كل وقت الأوفق للسنة في ذلك الوقت ،فيحرص الإنسان على النوافل و الإكثار منها و أيضا قال :و بترك المحرمات والمنهيات تعبدا لله ،انتبه لكلمة تعبدا لله ،ترك المحرمات و المنهيات تعبدا له ؛لأن الإنسان إذا تركها تعبدا و تدينا صارت في جملة عمله الصالح،لكن لو أن إنسانا ترك المنكر قال مثلا أنا لا أريد أن أشرب خمر لأني أريد أن أحافظ على صحتي ،أو قال مثلا أنا لا أريد أ أزني لأن الزنا الآن صاير فيه أمراض و أنا ما أبغى أمراض لا ،تجنب المحرمات تدينا تعبدا فاعبد الله ،لا تفعل هذه المحرمات لأن الله يراك و لا تريد أن تفعل شيئا يسخطه و تتقرب إليه سبحانه و تعالى بتجنب الأمر الذي يسخطه سبحانه و تعالى فتفعل ذلك تدينا و تقربا لله سبحانه و تعالى تترك الحرام متقربا بتركك له لله جل و علا ،متقربا بتركك له لله جل و علا ،ولهذا قال الشيخ و بترك المحرمات و المنهيات تعبدا لله ،وبهذه المناسبة خذوا نصيحة من أخ محب الإمام الذهبي –رحمه الله –له كتاب عظيم جدا اسمه الكبائر هذا الكتاب اقرأه و لو مرة واحدة في حياتك مر عليه حتى تعرف المحرمات التي نهاك الله سبحانه و تعالى عنها مع الأدلة من القرآن و السنة مع أيضا الوقوف على أخطارها و عندما تقرأ هذا الكتاب تدين لله متقربا إليه بترك جميع تلك الكبائر و المحرمات ،اقرأ هذا الكتاب بنية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بترك كل هذه المحرمات و جميع هذه الآثام التي نهى الله سبحانه و تعالى عباده عنها ، و إذا كان الإنسان لا يعرف المحرمات كيف يتقيها ؟ كيف يتقي من لا يدري ما يتقي ؟! ولهذا مر على هذا الكتاب ،و إذا قرأته حث إخوانك على قراءته وتعاون على نشر الخير الذي في الكتاب لابد أن يعرف الناس المحرمات مع دلائل تحريمها مع أخطارها الدينية و الدنيوية حتى يجتنبوها ، الآن في تكاثف من دعاة الشر و دعاة الفساد في نشر الفساد في المجتمع المسلم من خلال قنوات و مجالات كثيرة ،فلماذا أنت لا تنشط في نشر الخير ؟! لماذا لا تنشط ،خذ كتاب الكبائر للذهبي و اقرأه و اقرِأه إخوانك هذا باب خير في النهي عن المنكرات والله باب مبارك جدا اقرأ هذا الكتاب على نفسك و على أولادك وعلى جيرانك و اذهب إلى إمام المسجد في حيك وقل جزاك الله خير اقرأ على جماعة المسجد ،وحرك هذا في المجتمع تجد الناس تبدأ بإذن الله عز و جل تكف عن المحرمات وعن المنكرات بمعرفة هذه الأدلة و الحجج و البراهين من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، في كتاب الكبائر أحاديث صحيحة لو وقف عليها كثير ممن يفعلون تلك المنكرات لأقلعوا عنها فورا لكن ما وجدوا من يدلهم على تلك الأحاديث فكن أنت الشخص الذي تسعى في ذلك ،والله في أحاديث لو وقف عليها كثير ممن يتعاطون تلك المنكرات لأقلعوا عنها فورا ،وفعلا حصل ذلك فورا يقلع ،وبعضهم يقول سبحان الله أول مرة أسمع ذلك مباشرة يقلع ،كن أنت الذي تدلهم على هذا الخير ،ولهذا من أحسن الهدايا التي يأخذها بعض الحجاج الآن

يأخذ سِبح هدايا ياخي خذ كتاب الكبائر خلِ الناس تستفيد ،خذ كتاب التوحيد ،خذ كتاب الأصول الثلاثة ،خذ أشياء تفيد الناس ،السبحة ما يحتاجها النبي عليه الصلاة و السلام يعد التسبيح بيده يعدها بيده عليه الصلاة و السلام لكن خذ أحاديث النبي عليه الصلاة و السلام هدية لإخوانك ،الصحابة كان بعضهم يلقى بعضا ويقول أحدهما للآخر ألا أهدي لك هدية ؟ يقول :بلى ،يقول : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم —هذه هدية — أكبر هدية ياخي و الله أكبر هدية تهديها لإخوانك في البلاد هذه الكتب بدل أن تنصرف في أشياء بعضها لا يفيد و بعضها يضر ،خذها في المفيد خذ أحاديث الرسول عليه الصلاة و السلام هدية لإخوانك المسلمين ،ولهذا أنا أنصح كثيرا بهذا الكتاب كتاب الكبائر و لعله يكون هناك تعاون في نشره في المجتمعات وبين الأهل و بين الإخوان يُقرأ في البيت ،يُقرأ في المسجد ،يُقرأ مع الزملاء في الجلسات العامة ،الآن أنت لك جلسة مع إخوانك عامة اقترح عليهم قل أيش رأيكم نبدأ من اليوم كل أسبوع نقرأ باب من كتاب الكبائر؟ تجد أنك فتحت على نفسك وعلى إخوانك بابا من أبواب الخير و الصلاح ،تجد إخوانك بدأوا واحدا تلو الآخر يكفون عن هذه المحرمات إن كانوا يفعلونها أو يغشون شيئا منها ،وبهذه الطريقة الخير بإذن الله سبحانه و تعالى يزيد في المجتمع .

قال :ويعلمون —أي أهل السنة — أن الله تعالى لا يقبل إلا كل عمل خالص لوجهه الكريم مسلوكا فيه طريقة النبي الكريم عليه الصلاة و السلام.

وهذا كلام عظيم ،الشيخ لما ذكر ما تقدم نبه هنا أن جميع الطاعات و العبادات و الأعمال لا تُقبل من العامل إلا بشرطين : الإخلاص للمعبود ،و المتابعة للرسول عليه الصلاة و السلام ،قال الله تعالى :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ شرطان ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ أي يتبع هدي النبي عليه الصلاة و السلام،لأن العمل لا يمكن أن يكون صالحا إلا إذا كان موافقا للسنة ،لأن السنة أتت على الأعمال الصالحة كلها بينها عليه الصلاة و السلام أتم بيان ما ترك عملا صالحا إلا بينه ،فمن جاء بعمل يزعم أنه صالح وهو ليس في السنة فماذا حكمكم عليه ؟ من جاء بعمل يزعم أنه صالح و لا وجود له في القرآن و السنة (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) حتى و إن استحسنه صاحبه ،حتى و إن رآه حسنا و لهذا قال الإمام مالك —رحمه الله– : من قال في الدين بدعة حسنة فقد زعم أن محمد صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ،لأن الله يقول : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ قال : فما لم يكن دينا زمن محمد صلى الله عليه وسلم و أصحابه فلن يكون اليوم دينا ولن يكون دينا إلى أن تقوم الساعة .

العمل لا يُقبل لا بشرطين :أن يكون لله تبارك و تعالى خالصا ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ و أن يكون للسنة موافقا ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

فإن كان العمل ليس خالصا لم يقبله الله (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) إذا كان العمل ليس خالصا لم يقبله الله ،قال الله تعالى :[أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته و شركه] و إذا كان العمل ليس على السنة فهو مردود لقوله عليه الصلاة و السلام : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ولهذا يحرص المسلم في أعماله كلها على الإخلاص للمعبود و المتابعة للرسول وفي هذا المعنى يقول الفضيل ابن عياض في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ قال :أخلصه و أصوبه ،قيل يا أبا علي وما أخلصه و أصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل ،و إذا كان صوابا و لم يكن خالصا لم يُقبل حتى يكون خالصا صوابا ،و الخالص ما كان لله ،و الصواب ما كان على السنة ،قال : ويستعينون بالله تعالى في سلوك هذه الطرق النافعة .

و يستعينون بالله في سلوك هذه الطرق النافعة ،الآن أنت سمعت هذا الخير الذي بينه الشيخ-رحمه الله-و سمعت قبله أيضا خيرا كثيرا ،لكن كل خير تسمعه و يعجبك و ترغب في فعله لا يمكن أن تقوم به إلا إذا أعانك الله ،لا يمكن أن تقوم به إلا إذا أعانك الله ، يقول عليه الصلاة و السلام : (يا معاذ إني احبك فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك) والله جل و علا يقول :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ العبادة غاية و الاستعانة وسيلة ،ما يمكن تحصل لك الغاية التي هي العبادة إلا بالاستعانة بالله تبارك و تعالى ،ولهذا دائما و أبدا أطلب العون من الله جل وعلا ،إذا خرجت من بيتك لأي مصلحة دينية أو دنيوية قل بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله ،هذه كلمة استعانة ،إذا نادى المنادي حي على الصلاة حي على الفلاح، قل لا حول و لا قوة إلا بالله ،هذه كلمة استعانة ،اطلب العون من الله جل وعلا .

قال :و يستعينون بالله تعالى في سلوك هذه الطرق النافعة التي هي العلم النافع و العمل الصالح الموصل إلى كل خير وفلاح و سعادة عاجلة و آجلة ،ثم ختم-رحمه الله – المبارك النافع بحمد الله و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،و بهذه أيضا نختم حامدين لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على نعمه الكثيرة و الآئه الوفيرة و نحمده سبحانه وتعالى على نعمة الإسلام و نعمة الإيمان و نعمة القرآن ،ونعمة السنة و نعمة التوفيق لكل خير ونسأله جل وعلا أن يوزعنا جميعا شكر نعمته و أن يوفقنا لاستعمالها في طاعته وما يقرب إليه ،و أن يرزقنا جميعا الإخلاص في الأعمال و الأقوال و النيات ،و أن يرزقنا جميعا حسن الإتباع و الاقتداء برسولنا الكريم عليه الصلاة و السلام ،و أن يعيذنا جميعا من الشرك و البدع ،و أن يعيذنا من منكرات الأهواء والأخلاق و الأدواء ،و أن يصلح لنا شأننا كله و نسأله جل وعلا أن يصلح ذات بيننا و أن يؤلف بين قلوبنا ،و أن يهدينا سبل السلام ،و أن يخرجنا من الظلمات إلى النور ،و أن يبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا و أزواجنا و ذرياتنا وأموالنا و أوقاتنا ،و أن يجعلنا مباركين أينما كنا و نسأله جل وعلا أن يؤتي نفوسنا تقواها ،اللهم آتي نفوسنا تقواها و زكها أنت خير من

زكاها أنت وليها و مولاها ،اللهم صلِ على محمد و على آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد و على آل محمد كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وصلى الله وسلم على رسوله .